*( 17 مارس 2005 )*

# **الحياة الرهبانية**

## بلا شك أن هدف الراهب من حياة الرهبنة هو أن يحيا فى حياة المسكنة بالروح وحياة الغربة والموت عن العالم وحياة الكمال المسيحى بتنفيذ الوصايا، إلى جوار أنه يريد أن يحيا حياة التسبيح ويصير شريكًا للملائكة, مثلما نقول فى القداس الإلهى [أعطيتَ الذين هم على الأرض تسبيح السيرافيم]... توجد ترتيلة تُقال عن القديس الأنبا أنطونيوس أقتبس المعنى الذى يقال فيها, يقول قرارها: "إنتَ سَميتْ.. بَشَرْ وبقيت.. زى ملايكة السما.. وللا ملاك.. سِبت سماك.. وبقيت بَشَر زينا" هذا ما يقولـه الناس حاليًا فى الكنيسة عن القديس الأنبا أنطونيوس؛ أى هل أنت تساميت حتى صرت مثل الملائكة أم أنت ملاك تركت السماء وصرت من البشر!! هو مجرد تأمل ولكن بلا شك أن مفهوم الناس ومفهوم الآباء والكنيسة عن الرهبنة هى أنها حياة ملائكية، يستعد فيها الإنسان لحياة الملكوت من الآن؛ لأن فيها انحلال من العالم... انحلال من الكل للارتباط بالواحد.

## ونريد أن نرى الآن علاقة الراهب بإخوته الرهبان فى ضوء هذه المبادئ الروحية.

## **الراهب والعلاقات الرهبانية**

## من الأمور الغريبة التى نراها فى بعض السلوكيات الرهبانية أن يتجه راهب إلى حياة الوحدة -وهذا هو المفروض؛ لأن كلمة "monaxoc" "موناخوس" تعنى متوحد أى إنسان يعيش حياة الوحدة- ولكن بينما يمارس حياة الغربة والوحدة مع إخوته الرهبان، نجده يفتح بابه وقلبه وأذنيه للعلمانيين؛ أى يمارس حياة الوحدة فى علاقاته الرهبانية داخل الدير، لكن العلمانيين بالنسبة له ليس ممنوع عليهم الخلطة معه؛ لا يستقبل فى قلايته أو مغارته رهبانًا لكن من الممكن أن يستقبل علمانيين. فما هو مفهوم هذه الوحدة داخل الدير؟ يقول: {أنا أمارس حياة الوحدة داخل الدير؛ لأبعِد عن أخبار الدير ومشاكله، أنا أريد أن أعيش فى سلام فى الدير ولا أريد أن يكون لى علاقات مع رهبان تجُرُّنى إلى متاعب، لكن العلمانيين ليس لهم فى سياسة الدير؛ فأستطيع أن أعيش فى سلام حتى لو زارونى أو تعاملت معهم}.

## طبعًا هذا الأسلوب هو أسلوب فاشل تمامًا ومرفوض شكلاً وموضوعًا؛ لأن القديسين يقولون: [غرباء نحن يا أخى فلنكن غرباء بالكمال]، فإذا أراد أحد أن يعيش حياة الغربة فينبغى أن تكون غربة حقيقة وليست مجرد تظاهر بالوحدة. أنا أقول على العكس، ينبغى أن يتزايد الإنسان فى الغربة عن العلمانيين والخلطة بهم ويستمر فى علاقاته مع الرهبان، وعندما يصل إلى كمال الغربة بالنسبة إلى زوار الدير وإلى أهله، حينئذ يبدأ يتغرب عن مجمع الشركة فى الدير.

## وبما أننا نتكلم عن الراهب وعلاقاته بالرهبان فأحب فى هذا المجال أن أوضح أن هناك أساليب عكسية تحدث ولا تتفق مع المنهج الآبائى الذى تسلمناه عن حياة الوحدة وحياة الغربة.

# **حياة الشركة هى البداية الناجحة**

بدايةً كما هو معروف **يجب أن ينجح الراهب أولاً فى حياة الشركة داخل الدير**. وحياة الشركة داخل الدير تستدعى أن يقتنى الراهب الفضائل الروحية، فيعيش حياة المسكنة بالروح... لأن السيد المسيح قال: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت5: 3 ). فيقتنى فضيلة الاتضاع، وأيضًا يمارس الفضائل المسيحية الأخرى التى أهمها فضيلة المحبة، فيكتسب محبة الرهبان ويخدمهم، ويشعر الدير أن هذا الراهب قد خدم فيه كثيرًا وتعب كثيرًا فى العمل... تعب فى التعمير... أو فى الزراعة... أو فى أى خدمة تخص حياة الدير؛ فيشعر الدير أن وجود هذا الراهب ليس عبئًا على الدير, ويُطبق المبدأ الذى يقول "حَاجَاتِى وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِى خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ" (أع 20 : 34) ويرفض مبدأ أن يعيش على خبز الصدقة؛ لأن هذا المبدأ إذا كبر عنده؛ سيلازمه حتى وهو متوحد بالبرية... يريد أن يلتمس الناسُ البركةَ من هذا الأب القديس، ويبدأ الشيطان يعاكسه بالمواهب الفائقة وأيضًا يعاكسه الناس بأنه رجل ينقل الجبال بصلواته، وأن الشياطين ترتعب منه؛ فيتقاطر عليه الزوار من كل حدبٍ وصوبٍ يحملون إليه النذور والبكور، لدرجة أن أحد الرهبان فى أحد الأديرة بنى عدة عمارات وكنائس وغيرها، من تبرعات الزائرين -له شخصيًا- وبنى ديرًا كاملاً خارج الدير وكنائس ومبانى شاهقة، وإذا قيل له هذه الأشياء ملك الدير يقول لا، إنها ملكه وهو مسئول عنها. نجح بعض الرهبان فى أن يستغلوا بساطة الناس وثقتهم فى سير القديسين الذين يقرأون عنهم فى بستان الرهبان وغيره، بطريقة لا تتفق أبدًا مع حياة الغربة ولا حياة المسكنة ولا حتى فضائل المحبة بل بالعكس... مثل هذا الراهب تصدر منه مشاكل مع الرُبيتة ومشاكل مع المسئولين فى الدير، وإثارة الأصدقاء والأحباء ضد الدير لكى يعمل ما يهواه هو, بينما المفروض العكس, المفروض أن يشعر الدير بأن هذا الراهب الذى عاش فيه قد تعب كثيرًا، كل راهب يشعر أن له بركة وتذكار فى قلايته من تعب هذا الأب قبل خروجه إلى الوحدة، بل وجدران الدير نفسها تشهد بتعبه وسهره.

عمومًا ينبغى أن يشعر الراهب أنه جاء لكى يتغرب عن العالم والعلمانيين، وليس لكى يتغرب عن إخوته الرهبان، يجب أن يضع هذا فى قلبه منذ البداية. هو **يموت عن العالم لكى يعيش فى عالم جديد** الذى هو الدير، لكن لا يموت عن العالم لكى ينفر من مجمع الدير ويعتبر أن هؤلاء الرهبان أصحاب مشاكل ويفضل أن يتخلص منهم ويبتعد عنهم؛ ولا يُخفى عليكم أن **فضيلة الاتضاع لن تُقتنى إلا من خلال احتمال متاعب قد يتعرض لها الراهب من الآخرين.**

# ***أحيانًا يُخدع الإنسان من الشيطان، مثل ذلك الراهب الذى أوحى إليه الشيطان أنه من الممكن أن يتخلص من خطية الغضب التى يعانى منها، بخروجه إلى الوحدة، وبعد استئذان رئيس الدير بالخروج لأجل خلاص نفسه خرج وسكن فى مغارة، وهناك وضع قلة الماء على مدخل الباب فانقلبت بفعل الهواء وسُكِبَ الماء منها فملأها مرة أخرى -والماء كان صعب الحصول عليه فى تلك الأماكن– وتكرر الأمر عدة مرات؛ إلى أن غضب وأمسك بالقلة وطرحها على الأرض وكسرها, فاكتشف أنه قد ذهب إلى الوحدة ومعه طبيعة الغضب وشيطان الغضب، فعاد إلى الدير وطلب السماح واعتذر وقال: {هنا تُقتنى فضيلة الاحتمال وفضائل الصبر}.***

# **التطرف اليمينى والتطرف اليسارى**

## الآباء الشيوخ الذين عشنا معهم فى الدير كانوا ينصحوننا نصيحة هامة جدًا وهى: أن الراهب من الممكن أن ينحرف إلى أحد تطرفين.. إما إلى كثرة الخلطة مع إخوته الرهبان بحيث يتحول إلى راهب من أتباع جلسة "المصطبة"، أو أن يسرع إلى الوحدة قبل أن يقتنى فضائل حياة الشركة فى المجمع.

## أما الأسلوب السليم فى حياة الرهبنة فهو أن يهتم جدًا بجلوسه فى القلاية فى حياة الوحدة والسكون من جانب، ثم يخرج من القلاية ويتعامل مع الرهبان بروح الاتضاع والحب فيختبر نفسه ويكتشف من خلال احتكاكه مع الرهبان مدى تطور ونمو حياته الروحية واقتناء الفضائل من خلال تعامله مع الرهبان من جانب آخر. كما أنه فى تعامله مع الآباء الرهبان ممكن أن يقتنى أيضًا فضائل أخرى من خلال مشاهدته لفضائلهم الروحية، لأن هناك فرقًا بين أن يقرأ الإنسان عن الفضيلة وبين أن يتلامس معها على مستوى الواقع، **فالتلامس مع الفضيلة على مستوى الواقع يجبر الإنسان إجبارًا على أن يطبقها عمليًا فى حياته.**

فمثلاً التعامل مع إنسان مُحب، باذل، خدوم يُخْجِل الذى أمامه، كذلك التعامل مع إنسان متواضع، ينكر ذاته وينسب الفضل إلى غيره، وينسب إلى نفسه الجهل وعدم المعرفة -بينما هو يعرف الكثير من الأمور- يجعل من يتعامل معه يراجع نفسه بصورة قوية جدًا. بل وقد تكون مراجعته لنفسه فى منتهى العنف مع أنها هادئة جدًا فى مظهرها الخارجى. فمثلاً لو راهب مصاب بنوع من العُجْب والكبرياء والحديث عن النفس وحب المناصب, وتقابل مع راهب زاهد فى المناصب وحب الظهور وينكر ذاته سيراجع نفسه ويقول: {أين أنا من الرهبنة؟ أنا لم أترهب بعد، لكنى قد رأيت رهبانًا بالحقيقة}. نعود إلى المبدأ الذى قاله الآباء الشيوخ: [إن القلاية هى المخبز الذى ُتخبز فيه العلاقة مع ربنا]، [القلاية هى المكان الذى يمتلئ فيه الإنسان من الروح القدس]، [القلاية هى المكان الذى يراجع فيه الإنسان نفسه ويمارس حياة التوبة والشركة مع اللَّه]... ثم يخرج من القلاية دون أن يشعر أنه قد انحدر من سماواته العليا إلى جحيم الأرض بل يخرج من القلاية لكى يطبق عمليًا ما قد اقتناه فى حياة السكون، ويختبر هل سيستطيع أن يحفظ لسانه؟ هل سيستطيع أن يتعامل باتضاع؟ هل وَجَدَتْ المسكنة بالروح طريقًا حقيقيًا إلى قلبه؟ هل فضيلة الاحتمال موجودة عنده؟ هل مازال يسقط فى خطية الإدانة؟

فلا يحزن من وجوده فى المجمع ويقول فى قلبه: بما أننى أدين غيرى؛ فالأفضل أن أخرج إلى البرية الجوانية. بل الوضع السليم أن يقول ما دمت أسقط فى الإدانة فأنا محتاج أن أجلس مع نفسى وأبكِّتها وأمارس سر التوبة والاعتراف. كذلك إذا كان يغضب فلا يقول أنا أهرب من المجمع كى لا أغضب، بل بغضبه هذا يكتشف أن هناك أمراضًا روحية ساكنة فى داخله وتحتاج إلى علاج. مثلما نقول فى مديحة الصوم الكبير: [خُد لك طبيب نافع لدواك.. واكشف له جرحك ببيان.. فهو يعطيك مرهم لشفاك.. توبة واعترافًا وغفران]. ومن هنا كانت أهمية وجود أب اعتراف مختبر للإنسان, خصوصًا إن كان مازال يجاهد ضد ضعفات معينة.

الصلاة مثلاً: قد يصاب الراهب أحيانًا بالضجر فى الصلاة؛ لأنه لا يعلم لماذا يصلى، لكن عندما يشعر أن له ضعفات، ممكن أن يكون للصلاة طعم معين. لا أقصد أن أشجّع على وجود ضعفات لكن أردت أن أوضّح أنه حتى هذه الضعفات, قد تكون سُلَّمًا يساعد الإنسان على أن يرتقى فى حياة الصلاة، بمعنى أنه عندما يقول مثلاً مزمور "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي؟ إلى الإنقضاء؟" (مز 13 (12) :1), "يَا رَبُّ لمَاذا كْثُرَ الذين يحزنوننى " (مز 3 :1), "يَا رَبُّ لاَ تُبكتْنِى بِغَضَبِكَ" (مز 6 :1) "إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّى عَلَيَّ!" (مز 13 (12) :2). يقول كل هذا وهو يشعر فى داخله أن له ضعفات تحتاج إلى إصلاح، فالراهب الذى يحزن من وجود ضعفات له داخل حياة المجمع ويظن أن البعد أو ترك المجمع هو الحل, متى سيتعلم أن يصلح نفسه عن طريق الصلاة؟ إن لم تجد هذه الضعفات فرصتها لأن تظهر بدلاً من أن يصاب بالمجد الباطل والسُبح الباطل ويعتقد فى نفسه أنه أصبح رئيس المتوحدين فى البرية وهو فى الحقيقة لم يبدأ الطريق الروحى بعد. لذلك فبعد أن يبدأ مثل هذا الراهب فى حياة الوحدة لا يجد تعزيةً؛ فيبحث عن تعزيات من الناس, تعزيات عن طريق شعوره بأن الناس تتحدث عنه كقديس، صانع المعجزات، الذى جدد عصر الآباء، ويتهافتون عليه.

بل وصل الأمر إلى أن شخصًا قد يكون مطرودًا من دير -تحت الاختبار– ويأخذ مكانًا فى الصحراء ويعمل ديرًا ويُلبِس نفسه زى راهب؛ والناس تتقاطر عليه من كل حدبٍ وصوبٍ ويختار لنفسه اسم قديس من القديسين أو الآباء السواح ويوهم الناس أن هذا القديس تحت أمره ورهن إشارته، وإذا أتاه شخص فى طلب يقول له: {سأقول للقديس فُلان أن يقضى لك هذا الأمر} ويعتبر الناس جميعًا أن هذا الأب هو الوكالة لهذا القديس، ومندوب العناية الإلهية لاسم هذا القديس وبركاته. وليس فقط الرهبان بل أحيانًا نُفاجأ أن كاهنًا علمانيًا يكون لديه مخطوطة لسيرة من سير القديسين أو الشهداء أو الشهيدات... فيطلب من الأب مطران أو أسقف الأبروشية أن يدشن له أيقونة على اسم هذا القديس أو الشهيد، وبعد أن يدشنها له نُفاجأ أنه يُسمى نفسه القس فُلان خادم سيرة القديس فُلان ونسأله: {هل رُسمت على هذا القديس؟} يقول: {لا، ولكن وجدت مخطوطة بها سيرته}، وينشر المخطوطة فى كتاب ونجده مملوءًا بالأخطاء اللاهوتية, مثل أن قديسة ترشم بالميرون أو ترشم بالزيت أو أن السيدة العذراء تظهر لها وترشم الناس بالميرون, وأمور لا تتفق إطلاقًا مع أسرار الكنيسة السبعة؛ وهكذا ينشر المخطوطة بكل ما بها من أخطاء دون أن يعرضها على أحد لمراجعتها، وهذا الأمر يسبب له دعاية ورحلات، وكل ما هنالك أيقونة دشنها الأب الأسقف أو الأب المطران، ولكنه (القس أو القمص) اعتبر أنه خادم سيرة القديس فُلان ومندوب العناية الإلهية وكأن هذا القديس (أو القديسة) قد أقامه راعيًا لسيرته ولأيقونته ولكتبه، ثم نجد كتبًا أخرى عن المعجزات التى تحدث من هذا القديس، وتحدث صراعات بين القس والمطران عندما يراجعه بخصوص ما يفعله من أخطاء وبخصوص الكتب التى يطبعها وتضطر رئاسة الكنيسة أن تتدخل لفض هذه المنازعات. كل هذا بسبب فكرة أن شخصًا يقيم نفسه كأنه مندوب العناية الإلهية لقديس أو قديسة.

## الوضع السليم بالنسبة للراهب الذى يسكن فترة فى قلاية فى الدير قبل خروجه للوحدة أن يشعر الجميع أن قلاية هذا الراهب بركة فى الدير –دون أن يتكلم هو عن نفسه أو يسعى هو لذلك– لكن يقولون إن فى هذه القلاية سكن أبونا فُلان المبارك عدة سنين قبل خروجه إلى الوحدة وهذه القلاية مباركة بسبب سكناه فيها فترة، **هو سكن فى قلوب الرهبان جميعًا قبل أن يخرج إلى المغارة**، جدران الدير كلها تشهد بدموعه وصبره وصلواته واحتماله، كنائس الدير تشهد باتضاعه وروحانيته ومسكنته، الدير كله يتمنى يومًا من أيامه، ويتذكرونه بكل خير إن كان قد انتقل إلى السماء أو إن كان قد خرج إلى البرية، **بركته على كل أحد وبركة كل أحد عليه**.

## إذًا كلاً من التطرفين ينبغى أن يتحاشاهما الراهب:

## **التطرف الأول**: كثرة الخلطة مع الرهبان وفقدان حياة السكون فى القلاية.

## **التطرف الثانى:** العزلة من مجمع الشركة بحجة السكون والبعد عن الآخرين.

## **السلام بين الراهب والمجمع قبل الخروج للتوحد**

## لا يمنع أنه قد يتدخل عدو الخير وتحدث احتكاكات فى الدير بين الرهبان، فالراهب يقول لنفسه: {كم عدد الرهبان فى الدير؟ خمسون راهبًا مثلاً! لو خسرت كل يوم راهبًا من الرهبان (نتيجة لتلك الاحتكاكات) فعلى مدى خمسين يومًا أى أقل من شهرين سأخسر الدير كله، أو لو كل أسبوع خسرت راهبًا من الرهبان فعلى مدى خمسين أسبوعًا أى حوالى اثنى عشر شهرًا أكون قد خسرت الدير كله فى سنة واحدة}, لو دير فيه مئة راهبٍ سيخسر الدير كله فى سنتين فنقول له: ]e `nrompi (شى انرومبى) (إلى منتهى الأعوام) لأنه خسر الدير. يقول: {أبونا فُلان لا أحب التعامل معه لأنه إنسان سريع الغضب، أبونا فُلان لا أحب التعامل معه لأنه يحب أن يتكلم عن نفسه، وهذا لا أحب التعامل معه لأنه لا يحب أن يخدم الآخرين، أبونا فُلان لا أحب التعامل معه لأنه لا يعطينى فروض الاحترام الواجبة أثناء السلام قبل صلوات المجمع، أبونا فُلان لا أحب التعامل معه لأنه رُسِمَ قسيسًا قبلى وأخذ دورى، أبونا فُلان لا أحب التعامل معه لأنه يوم زيارة أسرتى هنا لم يعطها الاهتمام الكافى، أبونا فُلان لا أحب التعامل معه لأنه يتعاون كثيرًا مع رئيس الدير، وهذا لأنه رفض أن يعطينى استعارة من المكتبة لكتاب معين وقال هذا الكتاب لا يصلح للاستعارة}؛ كل فترة يرفض التعامل مع أحد الرهبان إلى أن يقرر مقاطعة جميع الرهبان.

### فى ذات مرة أثناء سكنى فى القلاية الخارجية فى دير السريان (قبل الأسقفية) جاءنى أب من الآباء المباركين الذى تربطنى به صداقة قوية منذ دخولى الدير، وجلس يتناقش معى فحدث بيننا شد فى المناقشة؛ فرجعت إليه بعدها مباشرة فى قلايته وضربت له ميطانية واعتذرت له؛ فوجدته يمتدح تصرفى هذا؛ فقلت له: {يا أبونا لو كل يوم خسرت أحد الرهبان فسوف أخسر الدير كله}. فى هذا الوقت كان قداسة البابا قد طلب منى أن أعمل قلاية خارج الدير لكى أسكن فيها، لكن هل أسكن فى قلاية خارج الدير وليس هناك سلامًا بينى وبين الدير!!

### وكيف يخدم رهبان الدير إنسانًا يعيش فى الوحدة وهم يشعرون أنه عبءٌ عليهم وعالة!! إن لم يكن هو قد خدم الدير من قبل والرهبان يحبونه، فسيشعر هو وهم كذلك بأنه عبءٌ. أما هو فلكى لا يشعر أنه عالة، قد يختصر الطريق ويقول: {أنا لا أريد شيئًا من الدير، أصدقائى سيحضرون لى كل احتياجاتى}!! هنا وأتساءل: {هل أنت لم تعد راهبًا فى هذا الدير؟!} يقول {أنا أصلى القداس فى الدير} فأقول له: {بهذا الوضع تكون منتدبًا للصلاة فى الدير، لكن إن لم تأكل من خبز هذا الدير فلا تكون بعد راهبًا فيه}.

### فلابد إذًا من وجود السلام والمحبة بين الراهب والمجمع قبل خروجه إلى الوحدة.

## *التدرج فى حياة الوحدة*

ولابد أن حياة الوحدة تأتى بعد اقتناء فضائل المجمع، ثم التدرج فى حياة الوحدة وليس الإسراع فيها، أى كيف يتدرج الإنسان فى حياة الوحدة بطريقة تجعل الرهبان يشعرون أن هذا الراهب فعلاً تباركه كل نفسٍ فى الدير وتطلب أيضًا صلواته. وحتى عندما يبدأ طريق الوحدة, فربما الدير يحتاج أن ينتفع من هذا الأب, لماذا لا يكون مرشدًا لآخرين من أبنائه أو إخوته الرهبان؟ وفى مقابل أن الدير يخدمه من الناحية الجسدية، وهو غير مُكلَّفٍ بعمل فى الدير, فلماذا لا يُقَدِّم هو خدمة روحية للدير؟ مثلما يقول معلمنا بولس الرسول: "إِنْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ زَرَعْنَا لَكُمُ الرُّوحِيَّاتِ أَفَعَظِيمٌ إِنْ حَصَدْنَا مِنْكُمُ الْجَسَدِيَّاتِ؟" (1كو 9 : 11)، أى يكون أبًا روحيًا يخدم الدير، يذهب إليه الرهبان بسماح من رئيس الدير أو من أسقف الدير (إن لم يكن أسقف الدير هو أب اعتراف جميع الرهبان) ويأخذ اعترافاتهم فى مكان وحدته؛ فيستفيد منه الرهبان روحيًا، وفى نفس الوقت يخدمونه ويحضرون له الأكل والاحتياجات التى لا يقدر أن يعثر عليها وهو فى الوحدة، وهو يعطيهم مشورة روحية أو إرشادًا روحيًا بسماح من رئيس الدير.

بهذا نكون قد اهتممنا بعلاقات الرهبان ببعضهم البعض بتحقيق التوازن بين حياة الشركة وحياة الوحدة.

# **ليس أفضل من أن يلقى الإنسان بالملامة على نفسه**

ننتقل إلى بند آخر وهو كيف يحتفظ الراهب بالبعد عن سياسات الدير فيما هو يعيش فى الدير بكل أحداثه؟

أحد بنود هذا الأمر أنه إذا أراد أن يحكى عن مشاكله لأب اعترافه -وخاصةً إن كان أب اعترافه هو رئيس الدير- ممكن ألا يذكر اسم الشخص الذى يتحدث عنه، ويجب على أب الاعتراف أيضًا ألا يسأل (من الذى قال لك هذا الكلام؟) أو (من الذى فعل هذا التصرف؟) لأن الراهب يريد أن يبعد فى اعترافه عن خطية الإدانة، ويريد أن يبعد عن الدخول فى مشاكل مع الآخرين، فأحيانًا فى الاعتراف يكون مضطرًا لذِكر بعض أمور حدثت معه، فالأفضل أن يعتبر أن هذا الاعتراف هو اعتراف بخطاياه هو وليس بخطايا الآخرين.

فى ذات مرة أتى إلى قداسة البابا شنودة الثالث -وهو كان أب اعتراف وما زال لكثير من الرهبان- راهب لكى يعترف فأخذ يشكو من راهب آخر ومن تصرفاته معه، وفوجئ قداسة البابا أن طوال جلسة الاعتراف هذا الراهب يقص عليه أخطاء راهب آخر فى الدير بكل أنواعها وتطوراتها. فقداسة البابا بأسلوبه المملوء من الذكاء وأحيانًا المرح فى بعض المواقف قال له: {يا أبونا ممكن تسمح تنادى أبونا فلان؟ فقال: لماذا؟ قال له: لكى أقرأ له التحليل لأنه هو الذى اعترف وليس أنت.. لقد اعترفتَ بجميع خطاياه فيكون الباقى أن أقرأ له التحليل} وكان يقصد أن يوبخ هذا الراهب على أسلوبه فى الاعتراف.

ففى الاعتراف يجب أن يتذكر الإنسان هذا المبدأ: أنه [ليس هناك أفضل من أن يلقى الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شىء], فإن غضب راهب عليك فَكِّر إنك أنت الذى تسببت فى غضبه، وأنت ذاهب للاعتراف تقول: {ويحى أنا الشقى؛ لأنى أعثرت أخى وأسقطته فى الغضب}، وهذا كان منهج الآباء القديسين.

# **كيف يلقى الإنسان بالملامة على نفسه**

أحيانًا عندما يأتى إلىَّ اثنان مختلفان مع بعضهما -ليس بالضرورة رهبانًا بل ممكن أى أشخاص عاديين- وكل منهما يشكو ضد الآخر، فأقول لهما سأقترح عليكما اقتراحًا... ما رأيكما أن نعمل نفس هذه الجلسة وكل منكما يقول الأخطاء التى فعلها هو فى حق الآخر بحيث أنه لا يتعب نفسه ويقول أخطاء الآخر؛ لأنه سيسمع بأذنيه الطرف الآخر وهو يقول: (أنا عملت فيه كذا كذا). وقلت لهما أن النتيجة ستكون واحدةً فى النهاية، فبدلاً من أن كل طرف يقول أخطاء الآخر، سنعكس الاتجاه وكل واحد سيقول ماذا فعل هو فى الآخر. قد يتساءل أحد {وما الفرق فى ذلك، فالمُحصلة واحدة فى النهاية ، وستسمع نفس القصص لكن بدلاً من أن تسمع هذه القصة من اليمين ستسمعها من اليسار والعكس بالعكس؟}, أقول إن الفرق هو فى أن كل منهما سيكون قد أخذ فرصته فى أن يلوم نفسه، والنقطة الثانية أن كل منهما لن يجرح مشاعر الآخر بل بالعكس سيكون نوعًا من الاعتذار، فسيشعر الطرف الآخر بالترضية، فتُحل المشكلة بسهولة وتصفى النفوس (أنا لا أتحدث هنا عن أشخاص إذا جلسوا وقيل لأحدهم لماذا فعلت كذا فينكر أنه فعل، بل أتحدث عن أشخاص لا يكذبون بل لا ينكر كل منهما ما قد فعله ولكن يبرر ما فعله هو بما فعله الطرف الآخر من خطأ).

فلو تعود الراهب أن يلقى بالملامة على نفسه سيستريح ويشعر بالسلام الداخلى, فإذا دخل قلايته وهو شاعر أن الآخر هو الذى أخطأ؛ ستكون القلاية آتونًا, ويفقد سلامه فى القلاية, ولكن إذا دخل القلاية وهو يلقى بالملامة على نفسه؛ سيشعر بسلام داخلى ويطلب من اللَّه أن يساعده فى أن يصلح أخطاءه.

# **العمل الداخلى للراهب**

توجد أحيانًا مشاكل لا تُحَّل إلا بالعمل الجوانى، وأنتم تعلمون قصة الأخ الذى ذهب يشكو لرئيس الدير ويقول له: {لماذا أعمل ميطانية لأخى؛ وهو يرفض أن يسامحنى} فقال له: {لأنك وأنت تعمل له الميطانية لم تبكت نفسك من الداخل ولم تشعر أنك أخطأت؛ فالروح القدس لم يحرك قلبه لكى يسامحك، لكن لو أنت فعلاً نادم من الداخل فالروح القدس سيشتغل داخله، ويحدث نوعًا من الكهرباء، مثل التلامس ما بين إحساسك أنت الداخلى بأن الروح القدس يوبخك، وما بين إحساسه هو الداخلى بأن الروح القدس يفتح قلبه لقبولك؛ فأنت لم توصل التيار الكهربائى لذلك لم يقبل هو اعتذارك}. إذن هناك مشاكل تُحل بالعمل الداخلى.

العمل الداخلى الذى أقصده إلى جوار لوم النفس **هو اللجوء إلى الصلاة**.

أحيانًا يشعر الإنسان أنه أساء التصرف فى أمر معين فى الدير، وأنه أدخل نفسه فى مشكلة صعب أن تُحَل والموضوع بدأ فى التعقيد، فيجد الراهب مشكلة ليس لها حل, فالاعتذار أحيانًا يكون بدون نتيجة؛ فنحن شاهدنا -عمليًا وليس نظريًا- أن الراهب الذى يحاول أن يصلى بحرارة ويرسل من قلايته ملائكة السلامة أو عمل الروح القدس.. هذا الراهب الذى يجلس فى قلايته يصلى صلاةً من القلب وبإيمان يكون مثل برج المراقبة فى المطار الذى يقول للطائرات التى فى الجو أية طائرة منهم تنـزل وأين، وهو الذى يقول أيضًا للطيار الذى على الأرض استعد للإقلاع وتُقلِع من أى اتجاه، ومن أى ممر, أى أنه جالس فى قلايته ويدير العالم كله, ليس بكبرياء لكن بروح الانسحاق، كأن أمامه مفاتيح يضغط عليها؛ يحل مشاكل ويحرك قلوب الناس، فيقول: {يارب أنا أسأت التصرف وأنت تصلح، وأنا عاجز ولا أعرف ماذا أفعل. ممكن إذا ذهبت أعتذر المشكلة تكبر أكثر، أو إذا ذهبت أعاتب ممكن العتاب يُزيد المشكلة}، فيدخل إلى قلايته ليصلى لكن ليست الصلوات الروتينية والقوانين بل يقول: {يا رب أنت تحل هذا الموضوع, أنت تتكلم فى قلب فُلان وفُلان وأنت تعمل ما تراه يا رب}، والعجيب أنه عندما يخرج من قلايته يجد العاصفة قد هدأت والأبواب تتفتح، ويجد نفس الأشخاص الذين لم يعرف كيف يفتح الطريق إليهم؛ هم أنفسهم الذين يأتون إليه أو يستقبلوه ببشاشة، وأن المواضيع قد بدأت تُحل {والمياه بدأت ترجع إلى مجاريها}.

كما سبق القول إن الإنسان لو شاعر بداخله أنه أخطأ فمن المؤكد أن ربنا سوف يعطى له نعمةً؛ لأنه سيلقى بالملامة على نفسه؛ فالرب سيتحدث فى قلب الآخر أن يسامحه من كل قلبه.

# **دور عدو الخير ومواجهة محاربات الشيطان**

**أكثر شىء يريد عدو الخير أن يفعله هو أن ينـزع المحبة من بين الرهبان**، ولذلك يلزمنا هنا أن نتوقف عند كلمات لابد أن يعيش بها الراهب ويُذكِّر نفسه بها باستمرار, وهى التى وردت فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس الأصحاح 13، فيقول "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِى مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِى نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَـانَ لِى كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِـنْ لَيْسَ لِى مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِى وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِى حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِى مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا" (1كو13: 1-3 )، ثم يكمل كلامه عن المحبة –ومفروض ابتداءً من الآية التالية توضع لافتة فى قلاية كل راهب لأن هذا هو المنهج الذى لابد أن نتعامل به– **"الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ. وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْــسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّؤَ. وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا"** (1كو13: 4-8).

مثلاً الحسد بين الرهبان، أحيانًا يكون مشكلة كبيرة ويعانى منها رؤساء الأديرة معاناةً شديدةً جدًا. لماذا أبونا فُلان أخذ القلاية الفلانية، ولماذا الوظيفة الفلانية، لدرجة أن رئيس الدير قد يريد أن يضع راهبًا فى وظيفة معينة وخائف من إعطائها له.. خائف من الحسد، أو يريد أن يعطى لأحد قلاية معينة لأنه محتاج إليها فعلاً، وشاعر بثقل من ردود فعل رهبان الدير، بينما الإنسان لو فى قلبه محبة يجب أن يقول: {لو وضعونى فى أى مكان فى الدير حتى ولو فى حجرة الخزين، فكتّر خيرهم، أنا غير مستحق لتراب هذا المكان}.

أيضًا **"المحبة لا تقبح"** هذه صفة هامة جدًا خاصةً للرهبان.

##### **المحبة لا تظن السوء**

كذلك "**المحبة لا تظن السوء**"، إذا دخل الراهب إلى قلايته تكون نارًا مشتعلة بسبب سوء الظن. يقول: {أبونا لم يُسَلِّم علىَّ حسنًا وسَلَم على فُلان أحسن منى} أو اليوم أبونا فُلان كان سائرًا وتظاهر بأنه لا يرانى؛ فيصبر قليلاً ويقول ربما اليوم لم يرنى سأرى غدًا؛ فيتدخل عدو الخير ولا يسلم عليه فى الغد رغم أن أعينهما كانتا فى أعين بعض فيقول الراهب {ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد جدف} وممكن أن يكون سارحًا فى الإلهيات أو فى موضوع مهم لذلك لم يرد السلام أو قد يكون لم يره فعلاً, وهذا يحدث معى أنا شخصيًا أحيانًا، يكون شخص واقفًا أمامى وأنا مركز تفكيرى فى أمر معين ولا أنتبه إلى وجوده، والأكثر من ذلك أن أحيانًا شخص يكلمنى وأنا لا أشعر أنه موجود، أنا أكلمكم عن نفسى وليس عن شخص فى الخيال، وسبب ذلك أنى كنت أحب الهندسة الفراغية وهى أن تكون لدى الشخص قدرة على تخيل المنظر فى الفضاء لكى يستطيع أن يحل المسألة، لقد عشتُ عشر سنوات فى هذا الجو (خمس سنوات أدْرِس وخمس أُدَرِّس) فممكن أن تكون هذه نتيجة طبيعية، ففى مقابل هذا ممكن أن يكون شخص واقفًا أمامى وأنا لا أراه؛ لأنى أرى الفضاء الخارجى. ممكن هذا يكون عيبًا ولا يصح والمفروض أن أقوم بتصحيح هذه النقطة، لكن أقصد أن أحيانًا يكون هذا بدون قصد؛ فالنقطة التى أريد أن أخرج بها من هذا الموضوع هى: لماذا تبنى تفكيرك وقراراتك على أساس ملاحظات فقط؟ بدلاً من ذلك ممكن أن تأخذ الموضوع بمحبة وتقول لهذا الأب: {هل يوجد شىء أغضبتُ قدسك فيه؟} فيقول: {لا أبدًا يا أبونا، أنت بركة} فتستريح وتنتهى المسألة، أى **لا تبنى الأمور على أساس ملاحظات واستنتاجات وتُكَوِّن عداوة مع الناس، فالمحبة لا تظن السوء.**

مثلاً قد ترى رئيس الدير ملامحه قد تغيرت من جهتك، ويكون الجالس معه قبلها أبونا فُلان، فتقول: {أنا عارف إن أبونا فُلان مدبر لى مكيدة وأغضب رئيس الدير منى، وطبعًا لو سألت رئيس الدير لأنه أب اعترافه لن يقول لى؛ لأن هذا سر اعتراف؛ فأنا سأتصرف مع هذا الأب}!! لماذا كل هذا الكلام فقد يكون رئيس الدير ملامحه متغيرة؛ لأنه سمع خبرًا سيّئًا أو راهب يمر بظروف مرضية صعبة وليس بسببك أنت، لماذا تقول إن أبانا أغضب نيافة الأنبا فُلان منى؟ لماذا تعطوا إبليس مكانًا؟ "لاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا" (أف4: 27).

توجد قاعدة مريحة للراهب وهى كما يقول الآباء: [إذا كان هناك أمور فيها شك وليست يقين، توجه للخير (أى افتراض حُسن الظن وليس العكس)]، وهذا التدريب نافع جدًا للراهب، فربما الشخص الذى تظن أنه لا يريد أن يكلمك تكون أفكاره نقية ويصلى ويوجَد اتصال بينه وبين ربنا فى هذا الوقت.

والآباء أيضًا يقولون: [أكثر شىء يريد عدو الخير أن يعمله هو أن ينزع المحبة من بين الرهبان] هذه العبارة مع أنها قصيرة إلا أنها تعتبر درة ثمينة؛ لأنها تعبر عن خلاصة خبرة هؤلاء الآباء، كرهبان أولاً، ثم كآباء مدبرين أو رؤساء أديرة أو كآباء اعتراف.

**كيف سنحارب الشيطان؟ هل بنفس أسلحته؟** فالشيطان من ضمن أسلحته الكبرياء، فهل سنحاربه بالكبرياء؟ أم نغلبه بالتواضع؟ **الذى سيبطل عمل الشيطان هو التواضع.**

من ضمن أسلحة الشيطان أنه عدو -يكره ربنا- فهل سنحاربه بالعداوة؟ أم **نحاربه بالمحبة**؟.. المحبة هى التى ستكسر شوكته.

فإذا وجدت مثلاً راهبًا فى حالة غضب وثورة عليك دون أن تعرف السبب.. ممكن فى أثناء غضبه عليك أن تطلب معونة من اللَّه, وتصلى لكى يعطيك اللَّه بقوة الروح القدس تيارًا جارفًا من الحب؛ يستطيع أن يستوعب أخاك الراهب ويجذبه لطريق المحبة ويعطيه الراحة، **"لأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّه قَدِ انْسَكَبَتْ فِى قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا"** (رو 5 : 5).

هناك راهب يكون مريحًا فى التعامل معه.. مريحًا لإخوته الرهبان ومريحًا أيضًا لرئيس الدير، كل من يدخل إليه يجد راحةً، مثل واحة غنَّاء.

لذلك أقترح أن تُعمل لوحة وتوزع على الرهبان مكتوب عليها عبارات المحبة التى قرأناها من (1كو13)؛ لكى يراها الراهب أمامه ويتذكرها باستمرار، ولا مانع أيضًا معها من بعض العبارات الرهبانية مثل: [غرباء نحن يا أخى فلنكن غرباء بالكمال]، [الطاعة والمسكنة يخضعان الوحوش لنا] ومثل تلك العبارات الجميلة التى يحبها الرهبان؛ لأننا رأينا فى حياتنا عمليًا كيف أن المحبة تستطيع أن تكسب الآخر وتحتويه.

من جهة **"المحبة لا تظن السوء"** فالنظرة البيضاء هى افتراض الجانب المضىء دائمًا، مثلما كان قداسة البابا شنودة -أطال الرب حياته– دائمًا ينصحنا قائلاً: [حاول أن تفترض الجانب المضىء للأمور طالما إنه لا يوجد لديك يقين عكس ذلك فتتحرر من سوء الظن].

##### **المحبة تحتمل كل شىء**

ممكن راهب يقول: {أنا أحتمل كل شىء من أخى الراهب إلا شيئًا واحدًا لا أقدر على احتماله وهو أن يُشوه صورتى عند رئيس الدير... هذا الأمر لا أستطيع أن أحتمله، وإن حدث فسوف أتخذه لى عدوًا إلى مدى الدهور}، كلمة "إلا" هنا لا تمر عند ربنا؛ لأنه لا توجد خطية لا تغفر عند اللَّه إلا خطية التجديف على الروح القدس, **وما هو التجديف على الروح القدس**؟ التجديف على الروح القدس هو رفض عمل الروح القدس فى حياة الإنسان، فلا تُغفر لأن الروح القدس هو الذى يقود الإنسان إلى التوبة.

ممكن ذلك الراهب الذى يقول كلام فى حقك عند رئيس الدير تحتويه أنت بمحبتك، فيذهب مرة أخرى ويقول له: {يا أبانا أنا لم أر فى حياتى راهب لديه محبة مثل هذا الأب، أنا جئت وأدنته أمامك لكن لم أجد محبة فى أحد أكثر منه}، وبذلك تنصلح الأمور وتقول {الأيام بيننا} أى مازال الطريق طويلاً، كل شىء ممكن ينصلح فـ "لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رو12: 21).

## *حياة الغربة فى المجمع*

إذا أردت أن تمارس حياة الغربة وأنت تعيش فى المجمع، فحياة الغربة فى المجمع هى ألا تتلهف على سماع أخبار الآخرين، قبل أن تقول حياة الغربة هى فى المغارة، تسأل نفسك أولاً: {هل أنا فى المجمع مُت عن حب الاستطلاع؟ هل مُت عن حب سماع أخبار الآخرين؟} هل أنت مُت عن خطية الإدانة حتى ولو بالفكر التى تجعلك تزكى نفسك وتفرح بأن تسمع أخطاء غيرك بدلاً من أن تحزن عليها؟!!

## **حياة التسبيح**

أيضًا حياة التسبيح... تأكد أن فترة وجودك فى مجمع الشركة هى فرصتك فى أن تذوب فى الليتورجية، ولا يجوز تسميتها "ليتورجية" إلا إذا كانت المجموعة تسبح مع بعضها البعض، لأن بناء الكلمة نفسها يعطى هذا المعنى ، فلابد أن تشعر أثناء وجودك فى وسط مجمع يصلى أن هذا محفل للملائكة، فممكن أن تصلى وحدك وهذا شىء جميل، وممكن تسبح وحدك، ولكن حينما تدخل مجمع التسبيح لابد أن تعلم أن هذا محفل، والملائكة نفسها تشتهى أن تحضر فيه لذلك نقول: {السلام للكنيسة بيت الملائكة} فتذهب إلى مجمع التسبحة وأنت متهلل وتكاد تطير فرحًا؛ لأن هناك سوف تتقابل مع الملائكة وأرواح القديسين, لكن وأنت وحدك؛ حولك أجناد الشر الروحية فى السماويات منفردة بك، لابد أن ينتبه كل راهب لهذه النقطة، فلولم تكن تسلحت بالكامل أو بدرجة كافية ستجد نفسك مستهدفًا من أجناد الشر الروحية فى السماويات.

ولذلك فى أحيانٍ كثيرة يأتى إلىَّ راهب ويقول: {أنا سأصلى التسبحة وحدى فى القلاية} فأقول له: {عدو الخير سوف يعطى لك انطلاقة فى التسبيح قوية جدًا فى البداية, وبعد فترة سيقول لك: سبح وأنت فى وضع نائم على مرقدك... سبح وقُل "أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِى مُسْتَيْقِظٌ" (نش 5 :2) مثل عروس النشيد}، وخطوة تتلو خطوة إلى أن يصل إلى الكسل التام، بينما وجودنا فى مجمع التسبحة يسَخِّن وتدب فينا الحياة والحرارة الروحية.

**أسئلة أجاب عليها نيافة الأنبا بيشوى بعد المحاضرة**

* **سؤال: المحبة تصدق كل شىء... ما تفسير ذلك وكيفية تطبيقه؟**

***الإجابة:*** حينما أحب شخصًا، فإذا قال لى مثلاً: {أنا لم أقصد أن أضايقك فى هذا الموضوع} فبدلا ًمن أن أفكر أنه يقول ذلك لكن الحقيقة أنه يقصد، مفروض أن أصدق أنه لم يكن يقصد؛ لأنى أحبه، وحتى لو أنا صدقته وهو لم يكن صادقًا فى كلامه؛ فربما عندما يجدنى قد صدقته يحاول هو أن يثبت أنه كان صادقًا، لأنه سيخجل عندما يجدنى قد صدقته وهو لم يكن صادقًا.

لكن لا تصدق كل شىء لدرجة أن كل شخص يأتى إليك بخبر تصدقه، ستصبح حينئذ مثل كرة يلعبون بها فى الدير، أى أنها تحتاج إلى حكمة فى التطبيق، فهو يقصد بها أن تكون فى إطار معنى "المحبة لا تظن السوء".

* **سؤال: كيف ينجو الإنسان من تبرير ذاته لكى يشعر بالندم ويحاول الاعتذار ؟**

***الإجابة***: إذا قال الإنسان: {إن اللَّه لن يحاسبنى عن أخطاء الآخرين بل عن أخطائى أنا}، سيقول فى داخله لو بررت نفسى سأدان، أما لو لُمت نفسى فسأتبرر، فدائمًا يحاول أن يبحث عن الجزئية الملوم هو فيها، ويتناسى أخطاء الآخرين.

* **سؤال:**  **كيف أقتنى المحبة لكى أتخلى عن الحسد؟**

***الإجابة***: المحبة هى إحدى ثمار الروح القدس الموجودة فى (غل5 :22، 23) تسع ثمار، المحبة هى الأولى فيهم، فالمحبة عطية وثمرة من الروح القدس فلكى تقتنيها تحتاج إلى أمرين:

1. تحتاج أن تصلى بحرارة من أجل اقتناء هذه الثمرة.
2. أن تجاهد وتأخذ تداريبًا روحية من أجل اقتناء المحبة.

فعندما تكون أمينًا فى القليل تؤتمن على الكثير، مثلاً المحبة تحتمل كل شىء، فتقول فى نفسك سأمارس الاحتمال كى أقتنى المحبة، وحينما تمارس الاحتمال ولو قليلاً، سيراك الروح القدس تجاهد وتستحق أن تأخذ قدرًا من الامتلاء الذى يساعدك فى أن تتزايد فى المحبة، أى عندما تحتمل ستمتلئ، وعندما تمتلئ ستحتمل، فأنت أخذت النعمة ويجب أن تتاجر فيها.. أخذت فضيلة الاحتمال، فتبدأ تتاجر فيها وعندئذ تتزايد فى الفضيلة، قد تتساءل: {هل أبدأ بالمحبة لكى أحتمل؟ أم أبدأ بالاحتمال لكى أحب؟} سأقول لك: صلى، وتدرج وتاجر فى الوزنة، فبالتأكيد لديك قدرًا من الاحتمال ولو قليل فتاجر به وستربح، وحينما تربح ستزداد فى الفضيلة.

مثلاً الحسد: العمل الجوانى له دور كبير جدًا فى مقاومة الحسد، فمثلاً شخص رُسِم قسًا أو أسقفًا، وجاء إليه شخص آخر ليسلم عليه فلم يُقَبِّل يده، كيف يحل هذا الأمر من داخله؟! ممكن أن يقول فى نفسه: {أنا لما رُسمت قسًا لم أكن أريد ذلك، ولما أصبحت أسقفًا كنت حزينًا، فلأعتبر نفسى لم أُرسم}، أو أب كاهن تخطوا دوره أو تجاهلوه فى الصلاة أثناء القداس وقد يسبب له ذلك حرجًا أمام الموجودين، (وقد يقصد رئيس الدير ذلك ليعلمه فضائل رهبانية) فممكن أيضًا أن يقول فى داخله: {أنا يوم رسامتى كنت رافض الرسامة.. فلأعتبر نفسى لم أُرسم بعد، ومن يستحق أن يقف أمام المذبح! ومَن! ومَن!...} فيجد نفسه متعزيًا بهذا الأسلوب من التفكير وينتهى الموضوع.

لكن الإنسان لا يستطيع أن يستفيد من تداريب رئيس الدير إلا إذا كان لديه الاستعداد لأن يستفيد. ففى موضوع الحسد، يقول فى داخله: {أنا لا أستحق سوى أن أُضرَب وأُسحَل فى الدير وأن يرمونى فى أى حارة من حارات الدير، فعلامَ سأحسِد؟ كل الرهبان يستحقون الكرامة إلا أنا، ولا أستحق حتى قلاية بل لو وضعونى فى جُحر ثعلب، لا أستحق، فلماذا أحسد؟}. فلو خاطب الإنسان نفسه بأنه لا يستحق النعمة الكبيرة التى هو فيها؛ سيأخذ نعمة من ربنا.

* **سؤال: نريد أن نتعلم كيف لا نحقد أو نكره عندما نختلف ؟**

***الإجابة***: لطيف جدًا هذا التدريب، شىء لطيف أن يكون لدى الإنسان استعدادًا لأن يختلف ولا يكره، ولكى يصل لهذا لابد أن يكون لديه استعدادًا للاستماع، أى أن يستمع لوجهة نظر الآخر، وإذا لم يتم التوصل إلى حل، يؤجل الموضوع لمزيد من الدراسة؛ (وهذا ما يطبقه قداسة البابا فى جلسات المجمع المقدس عندما يجد اختلافًا فى الرأى حول موضوع ما، يقول هل ممكن أن يؤجل لمزيد من الدراسة؟ ويحول الموضوع للجان المجمع للدراسة ويحاول أن يحفظ السلام بين الآباء وبعضهم).

فمن ضمن الحلول لمشكلة الاختلاف فى الرأى، تأجيل الوصول إلى قرار لمزيد من البحث والدراسة والتفكير. أما إن لم يكن هناك فرصة للتأجيل لأنه موضوع عاجل، ولم تصلوا فيه إلى حل، فممكن أن تتفقوا على أن تسمعوا صوت ربنا من خلال مستشارين آخرين، مثل عرض الأمر على أب روحى كبير أو رئيس الدير أو مجموعة معًا يُعرَض عليها الأمر .

والحقيقة أن تنوع الآراء يعطى اتساعًا أكثر فى الرؤية، وأحيانًا الاختلاف هو الذى يوصل إلى الحقيقة، نتيجة لأن هناك بحثًا فى الموضوع، فبدلاً من أن كل طرف لديه فكرة واحدة مستقرة ولا يرى غيرها؛ فالبحث والنقاش يعطيه رؤية أوسع متعددة الجوانب. وتنوع المواهب أيضًا مطلوب فى الكنيسة.

* **سؤال: توجد فجوة كبيرة بين جيل الآباء الشيوخ القديسين وبين الأجيال الجديدة، كيف يتم التواصل** **بين الجيلين؟ خاصة أن الآباء الشيوخ لهم سمة البساطة الجميلة التى بها رائحة القرن الرابع الجميل، أما جيلنا** **الحالى فهو الجيل العقلانى.**

***الإجابة***: أنا أشعر فعلاً بهذه الفجوة... الجيل الحالى ليس فقط عقلانى بل هو جيل الكمبيوتر والموبايل وربما أشياء أخرى. أين أيام لمبة الجاز والشمعة؟ والنوم المبكر للاستيقاظ لجرس التسبحة؟ فى أيامنا كان نيافة الأنبا ثيؤفيلس -المتنيح- يسمح بتشغيل ماكينة الكهرباء فى أيام الأعياد فقط: الميلاد والغطاس والقيامة، بالرغم من وجود إمكانيات لديه أن تكون الكهرباء فى الدير كل أيام السنة، لكنه كان يفضل للرهبان أن يعيشوا على لمبة الجاز، فكان كل الرهبان قبل الغروب تجدهم خارج قلاليهم كل منهم ينظف زجاجة اللمبة قبل حلول الظلام... حياة بدائية فطرية جميلة، وكنا نستعمل الحصيرة، ونستخدم وابور الجاز فى تسخين المياه, والزلعة التى بداخل القلاية, مجرد وجود ماء بحنفية وطبق داخل القلاية كان تقدمًا حضاريًا كبيرًا جدًا. كان مجرد صوت عصا نيافة الأنبا ثيؤفيلس فى الدير يخيف الرهبان، ولو سمع صوت من قلاية أحد الرهبان يعرف أن لديه راهب يزوره، فيقول من خارج القلاية بصوته المميز: {أغابى} لكى يعرِّفهما أنهما بجلوسهما معًا يضيعون وقت بعض (الحرص على قيمة الوقت). وكان يضع زلط فى الممر المؤدى إلى قلالى الرهبان؛ فلو راهب قام بزيارة زميل له ليلاً سيسمع صوت قدميه على الزلط وهو واقف أمام قلايته فوق، فيقول له بطريقته المعروفة: {الساعة كام ياللى تحت} فيعرف الراهب أنه قد كُشف أمره فلا يكررها مرة أخرى. كان مجرد خبطة عصاته تجعل الدير كله ينضبط، وقد عشت ذلك بنفسى، مع أنها لم تكن تؤدى إلى شىءٍ ولكن مجرد إحساسنا بالمهابة. كان إذا نادى على راهب فى الكنيسة ليصلى ولم يجده كان ينادى على أسماء الذين رقدوا وتنيحوا، لكى يعطيه درسًا أنه كما أن الذين تنيحوا موجودون فى القبور فأنت أيضًا لم تأتِ لتحضر الصلاة.

فى نفس التوقيت كان يوجد الإرشاد الروحى الجميل الذى نأخذه من قداسة البابا كأب اعتراف، لدرجة أن قداسته حينما حضرت للدير بدأ يحفظنى التسبحة بنفسه، مع تأملات حتى فى نغمة التسبحة نفسها، فكان يقول: {هذا الجزء واطى كدة عشان فيه مسكنة، وهذا عالى عشان كذا}. فعشنا مع قداسة البابا كراهب المغارة، وعشنا مع نيافة الأنبا صرابامون كمرشد روحى، وعشنا مع عصا نيافة الأنبا ثيؤفيلس الغليظة، فهذه كلها كانت عوامل مجتمعة معًا: إرشاد روحى على أعلى مستوى، وفى نفس الوقت إرشاد روحى من شخصية قريبة جدًا من الأب الكبير، وفى نفس الوقت تعاليم وتلمذة من رئيس الدير. فعلاً الجو قد تغير، ومحتاجين إلى إعادة النظر فى هذا الجو (المودرن) Modern الذى فى الأديرة، ومحاولة التفكير كيف كان الرهبان يعيشون قديمًا.

أما كيفية التواصل بين الجيلين... فربما فى مثل هذه الجلسات (هذا المؤتمر مثلاً) نسمع من الرهبان القدامى كيف كانوا يعيشون قديمًا، والآباء رؤساء الأديرة ممكن أن يحاولوا توفير الجو الملائم لبعض الرهبان لكى يعيشوا بالأسلوب الذى عاش به آباء زمان، كأن نعمل مثلاً أركانًا فى الدير لرهبنة بدائية. كان يوجد فكرة لعمل دير بدائى ولا زالت موجودة ولكن لم تنفذ بعد، وأقترح أن بعض الآباء ينفذوها ولو فى جزء من الدير.

***ونشكر الجميع على محبتهم.***

***ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.***